

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 4 - سورة المطففين - تفسير الآيات 14-15-22-26-29-34

10-05-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في قوله تعالى من سورة المطففين:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) ﴾

[سورة المطففين]

هذه الآيات وآيات أخرى تُبَيِّنُ أَنَّ سلوك الإنسان له علاقة بهدأيته فكُلَّمَا كنت أقرب إلى الاستقامة كنت أقرب إلى الهدى والدليل كما قلتُ في درس سابق قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) ﴾

[سورة الشعراء]

إنسان فارسيٍّ وأعجميٍّ لو نزل هذا القرآن عليه، وجاء هذا الأعجمي إلى مكة المكرمة وقرأ عليهم القرآن بلُغَةً فارس ما كانوا به مؤمنين وأنت الآن لو ذهبت إلى تركيا أو إلى بلاد فارس، لا تفهم ولا كلمة لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (198) ﴾

[سورة الشعراء]

الإنسان حينما يعصي ويُنحرف ويخطأ، وينتهك حرمات الله عز وجل يُصْبِحُ على عَيْنِهِ غِشَاوَةٌ، وفي آذانه وفُرٌّ، قال تعالى:

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) ﴾

[سورة البقرة]

وهذه الآية تُؤَكِّدُ المعنى نفسه ؛ قال تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) ﴾

[سورة المطففين]

وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُفَّتْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَمَا كُنَّا بِمُحْسِنِينَ (88) ﴾

(سورة البقرة)

القلب المغفَّف الذي لا يعي الخير أساسه سلوك منحرف، آية أخرى وهي قوله تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) ﴾

[سورة الماعون]

وقال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

هناك طريقان لا ثالث لهما فإن لم تكن على أحدهما فأنت على الآخر حتماً قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

هناك طريق الاستجابة وطريق الهوى، وطريق العقل وطريق الشهوة طريق الدنيا وطريق الآخرة، وطريق الخير وطريق الشر، وطريق القرب من الله وطريق البعد عنه، وطريق المعصية وطريق الطاعة وطريق الإنصاف وطريق الظلم، قال تعالى:

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50) ﴾

[سورة القصص]

لذلك كلما كنت مُستقيماً كانت أذنك واعية، وكلما كان المرء منحرفاً كانت أذنه صمّاء عن سماع الحق، لذلك قد تعجب من الذين عاصروا النبي عليه الصلاة والسلام، ألم يروا فصاحته ؟ ألم يروا كماله ورحمته وعطفه ؟ ألم يروا لطفه ؟ ومع ذلك تمّنوا أن يقتلوه، والذين ابتعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم رَمَنِيًّا واستقاموا على أمره إذا زاروا مقامه يكون ! ما هذه المفارقة ؟ كلما كنت أقرب إلى الاستقامة كلما كنت أقرب إلى الهدى، قال تعالى:

### ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14) ﴾

[سورة المطففين]

أيها الإخوة، هناك أمراض لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، وهناك مصائب لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، مصائب تُصيب الإنسان ؛ تُصيب أهله وأولاده، مصائب تُصيب ماله، يفقدُ الإنسان بعض أحابيه، ويخسر الإنسان ماله كُلَّهُ يُعْلِنُ إفلاسه ويُصاب بِمَرَضِ عَضَالٍ، إذا سألتني ؛ ما هي أكبر مُصيبة على الإطلاق تُصيب الإنسان في دُنْيَاهِ وَآخِرَتِهِ ؟ هي هذه الآية الكريمة:

### ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ﴾

[سورة المطففين]

كُلُّ السعادة في القُرْبِ من الله والنَّظَرِ إلى وجهه الكريم، هؤلاء الكافرون المُنحرفون مَحْجُوبُونَ عن رَبِّهِمْ في الدنيا، قد تُؤْتَى المال كُلَّهُ وقد تُؤْتَى أعلى مُنْصَبٍ وَأَجْمَلِ زَوْجَةٍ وَأَجْمَلِ بَيْتٍ، إلا أَنَّكَ إذا كنت مَحْجُوباً عن الله فأنت أَشَقَى الأَشْقِيَاءِ، وقد تكون فقيراً وقد تكون مريضاً ومُضْطَهَداً ومُعَدِّباً، وقد تكون مَحْرُوماً إلا أَنَّهُ إذا تجلَّى اللهُ تَعَالَى على قلبك فأنت أسعد الناس يا داود مرضتُ فلم تُعْذِنِي ! قال: كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين؟! قال: مرضَ عبيدي فُلانٌ ولم تُعْده ألم تعلم أَنَّكَ لو عُذتَه لَوَجَدتَنِي عنده، أنا أَخَدْتُ منه صِحَّتَه إلا أَنَّنِي عَوَّضْتُ عَلَيْهِ قَرَباً وَتَجَلَّيًّا وَنُوراً وَطَمَآنِينَةً وَأَمْنًا وَسَلَامًا، لذلك لِيَكُنْ نصيبك من الله تَعَالَى رَحْمَتَه وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُلْقِي عَلَيْكَ مِنْ أَنْوَارِهِ وَأَنْ يُطْمِئِنَ قَلْبُكَ، قال تَعَالَى:

### ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ﴾

[سورة المطففين]

قال تَعَالَى:

### ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) ﴾

[سورة الإنفطار]

نعيم القُرْبِ، ونعيم الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، ونعيم الحور العين، ونعيم رضوان الله عز وجل، ونعيم النظر لَوَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، قال تَعَالَى:

### ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) ﴾

[سورة الإنفطار]

فَمِنْ شِدَّةِ النعيم والسرور والطمأنينة، وَجْهه مُتَأَلِّقٌ، وَالإِنْسَانُ أحياناً في الدنيا يُوقِّقُ بِتِجَارَةٍ أَوْ شَهَادَةٍ أَوْ مُنْصَبٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ بِصِحَّةٍ فَإِذَا بِكَ تَجَدَّه مُتَأَلِّقٌ فِي وَجْهِهِ.

قال تعالى:

**﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾**

[سورة المطففين]

سَأَصَوِّرُ لَكَ سِبَاقَ وَالطَّرِيقِ طَوِيلٍ جَدًّا، وَهَنَّاكَ أَلْفَ سَيَّارَةٍ مِنْ أَحْدَثِ الْمَارَكَاتِ ! وَمِنْ أَعْلَى الْمُحَرِّكَاتِ، وَبِأَمْرِهِ السَّائِقِينَ، فَإِذَا بَآخَرَ الطَّرِيقَ مَغَارَةً، فَلَمَّا تَصَلَ السَّيَّارَةُ الْأُولَى تَسْقُطُ، وَكَذَا الثَّانِيَّةُ، فَهَلْ يَهْمُنَا أَنْ نَعْرِفَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ ؟ كَلُّكُمْ سَيِّمُوتُونَ، وَمَوْتُهُمْ مُحَقَّقٌ وَالْكُلُّ دِمَارٌ، فَهَكَذَا سِبَاقُ الدُّنْيَا، فَقَبِيرٌ مَاتَ وَغَنِيٌّ مَاتَ، وَكَذَا الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، وَالصَّحِيحُ وَالسَّقِيمُ، وَالْوَسِيمُ وَالذَّمِيمُ ؛ سِبَاقُ مُضْجِكَ وَهَذَا تَنَافُسٌ أَحْمَقٌ، وَهُوَ التَّنَافُسُ عَلَى الدُّنْيَا، أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:

**﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾**

[سورة المطففين]

تَنَافُسٌ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَتَنَافُسٌ فِي الْآخِرَةِ، وَفِي الْإِنْفَاقِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَفِي رِعَايَةِ الصِّغَارِ، فَهَذَا هُوَ التَّنَافُسُ الْمَعْقُولُ لِأَنَّ فِيهِ جَوَائِزَ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:

**﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)﴾**

[سورة المطففين]

وهناك آية أخرى:

**﴿لِمَثَلٍ هَذَا فَلَيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)﴾**

[سورة الصافات]

قال تعالى:

**﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)﴾**

[سورة المطففين]

دَعَاؤُهُ لِفَنْدُقِ خَمْسِ نَجْمَاتِ فَأَبَى أَنْ يَلْبِي ! يَقُولُونَ عَنْهُ: مَجْنُونٌ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَالْآخِرِينَ يَقُولُونَ: لَا يَزَالُ مِنَ الَّذِينَ يُحْجِبُونَ أَزْوَاجَهُمْ ؛ لَنْ نَأْكُلَهَا لَهُ ! ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

**﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (32)﴾**

[سورة المطففين]

لَا يَعْشَى فِي عَصْرِهِ وَمُتَخَلِّفٌ وَمُتَزَمِّتٌ، وَمُتَقَوِّعٌ وَأَنْعَزَالِي، تَفَكِيرُهُ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ  
الْكَفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[سورة المطففين]

البطولة في آخر المطاف، فالبطولة أن تكون آخر الضاحكين، فانه تعالى قال:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)﴾

[سورة المطففين]